حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

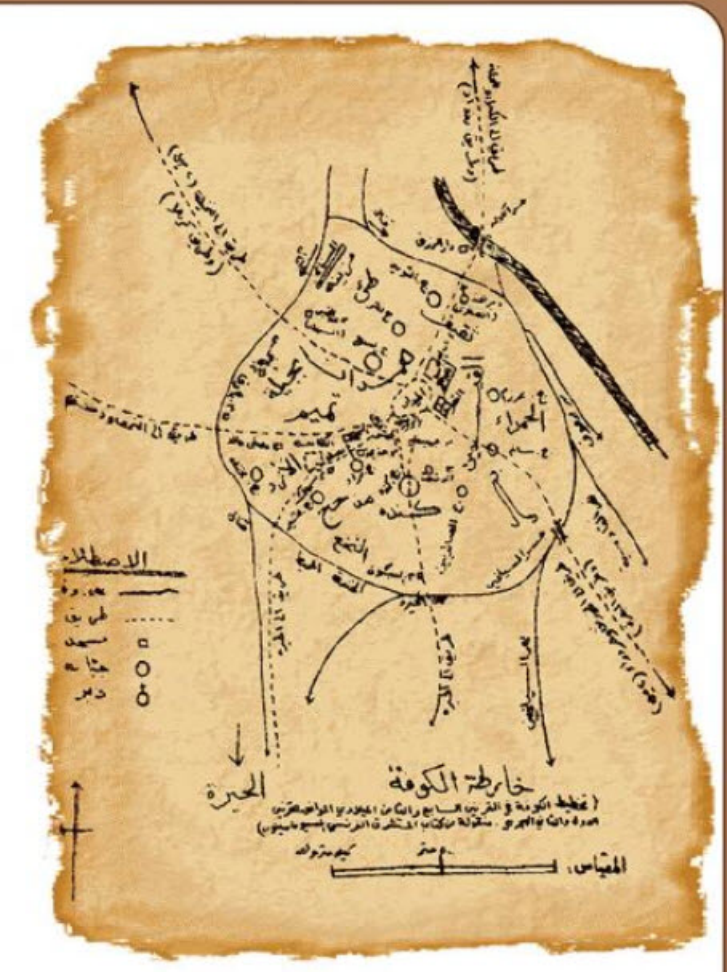

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

منطقة الكوفة

دراسة طبوغرافية مستندة إلى المصادر الأدبية

الدّكتور صالح أحمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي سابقاً

يتناول هذا المقال بحث ما ذكرته الكتب العربية في القرون الثّلاثة الأوّلى من الأماكن في أطراف الكوفة، ومحاولة تحديد مواقعها بصورة مضبوطة أو تقريبية، ولن ندخل فيها المنطقة الواقعة بين الكوفة والقادسية الّتي وصفناها في مقال نشرناه بمجلة كلية الآداب.

ولا ريب أنّ في كتب الجغرافية والبلدان معلومات قيمة عن هذه المنطقة وأماكنها، فقد وصف بعضها أنهار وترع ومياه هذه المنطقة ككتاب عجائب الأقاليم السّبعة لسهراب، وكتابي مروج الذّهب، والتّنبيه والإشراف للمسعودي، واشتمل بعضها على معلومات قيمة عن إنتاجيتها وأقسامها الإدارية مثل كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب الخراج لقدامة بن جعفر، وحوى بعضها كلاماً عن وصف وأهمية بعض هذه الأماكن ككتاب أحسن التّقاسيم للمقدسي، وكتابي البلدان لليعقوبي ولابن الفقيه الهمداني. غير أنّ الكتب الجغرافية العربية لا تحوي وصفاً شاملاً لكافة أماكن هذه المنطقة، وقلما تحدد مواضعها أو تذكر أبعادها، فضلاً عن عدم الدّقة فيها.

وفي كتب الفقه الأوّلى معلومات ثمينة عن فتوح هذه المنطقة وملكيات العرب فيها، وبحوث طويلة عن أحكام أراضيها، ولكنها غير شاملة وليست دقيقة دائماً في تعبيراتها عن وطبوغرافية المنطقة، إذ قلما تعين مواقع الأماكن الّتي تذكرها.

ولا بدّ أن تذكر أنّ الكوفة منذ أوّل إنشائها بعد الفتح الإسلامي، كانت لها أهمية خاصة كبرى ظلّت محتفظة بها حتّى بعد أن شيدت بغداد وصارت عاصمة الخلافة، إذ ظلت الكوفة مركزاً فكرياً عظيماً وظهر فيها عدد كبير من العلماء والمؤرخين الّذين قدموا لنا معلومات غير قليلة عن الكوفة وما حولها وما جرى فيها من حوادث.

ولا شك أنّ الحوادث الّتي جرت في الكوفة أو قربها كانت غير قليلة ولها أثر في مجرى التّاريخ الإسلامي. فعلى أهل الكوفة ألقي واجب سحق الجيوش السّاسانية وفتح العراق ومعظم هضبة إيران. ثمّ إنّ التّوتر الّذي حدث فيها في أواخر عهد الخليفة عثمان، والحوادث الّتي جرت في خلافة الإمام علي الّذي اتخذها مركزاً له، والحركات العسكرية الّتي قامت بسبب الخوارج، ومقتل الحسين وزيد بن علي، والمعارك بين الحجاج وابن الأشعث، واتخاذ العبّاسيين مقرهم فيها في أوائل تأسيس دولتهم، ثمّ ثورة أبي السّرايا: كلّ هذه أحداث خطيرة جرت في الكوفة أو بالقرب منها، وفصل أخبارها المؤرخون المسلمون، وخاصة الكوفيين، وأوردوا في ثنايا بحوثهم إشارات إلى كثير من الأماكن، ووصفاً طيباً لبعضها.

إنّ للمعلومات الّتي قدمها المؤرخون الكوفيون عن أماكن الكوفة وما حولها أهمية كبيرة، إذ إنّ هؤلاء المؤرخين كانوا يعرفون هذه الأماكن، ويستطيعون ضبط أسمائها، وإذا كان بعضهم قد تحيز في وصف الحوادث وشوه تصويرها، فإنّ التّحيز والتّشويه لن يرقى إلى الأماكن لأنّها أشياء مادية واضحة لا مجال للتّزوير فيها. فذكر المؤرخون لمكان ما خلال بحث إحدى الأحداث التّاريخية، يدل على أنّ المكان كان قائماً في زمن المؤرخ، ويرجح أنّه كان موجوداً في زمن حدوث الحادث التّاريخي، وبذلك يساعد على تحديد زمن ذلك المكان، بصورة تقريبية على الأقل.

يضاف إلى ذلك أنّ ذكرهم المحطات الّتي وقفت فيها الجيوش أو الجماعات أو الأفراد خلال تنقلها من مكان إلى آخر، يساعد على تعيين مواقع تلك المحطات وعلى معرفة طرق المواصلات، هذا إلى أنّ بعض ملاحظاتهم عن بعض الأماكن تفيد في كشف تطورها التّاريخي. لذلك فإنّ اعتمادنا الرّئيسي في هذا الوصف الطّبوغرافي قائم على معلومات المصادر التّاريخية مع عدم إهمال المصادر الأخرى بقدر الإمكان.

لقد زالت معالم كثير من هذه الأماكن، ولم نعد نعرف مواقع المواضع الّتي تردد ذكرها في أحداث العصور

الإسلامية. غير أنّ بعض الأماكن لا تزال باقية، وبعضها يحتفظ بمكانة خاصة بالنّظر لأنّها مثوى لشخصيات إسلامية عظيمة أو بارزة، كالكوفة، والنّجف، وكربلاء، والقاسم، هذا إلى استمرار بقاء بعض الأماكن كبابل وعين التّمر والحلّة.

وبالإمكان الاستفادة من هذه الأماكن الباقية وجعلها إحداثيات أساسية لتعيين بعض الأماكن المندثرة، غير أنّه لا بدّ من ملاحظة أنّ هذه الدّراسة هي أوّلية، ولن تكون كاملة دقيقة ما لم تقرن بدراسة دقيقة لأرض المنطقة، كما أننا لا نزعم استيعابنا لكل المادة الموجودة في المصادر الأدبية، ولكننا نشعر بأنّ كميتها تكفي لإلقاء ضوء يساعد الباحثين في هذا الميدان ويقدم مادة تصلح أن تكون أساساً لمن يريد الاستمرار على دراسة هذه المنطقة.

تكونت منطقة الفرات الأوسط في العصور الإسلامية الأوّلى من ثلاث أستانات هي البهقباذ الأعلى، والأوسط والأسفل، وكلمة البهقباذ بهلوية معناها (حسن قباذ)، ولا نعلم فيما إذا كانت قائمة قبل قباذ، أم أنّه هو الّذي كورها وأوجدها، إلاّ أنّ المهم هو أنّ بقاء العرب لاسمها الفارسي هو مظهر لاحتفاظهم بها. ومما يؤيد ذلك أنّ المراكز العربية الّتي أنشئت في هذه المنطقة كالكوفة وكربلاء والجامعين وحتّى الحيرة لم يطلق اسمها على أي مركز منها. ويبدو أنّ هذه التّقسيمات ظلّت حتّى القرن الرّابع على الأقل، لأنّ مؤلفات القرن الرّابع كانت تذكر هذه الأستانات. ويمكن الجزم بأنّ تقسيمات الأستانات هو لغرض الإدارة المالية وجباية الأموال، ولكننا لا نعلم ما هي الأغراض الأخرى الّتي كان يحققها هذا التّقسيم.

ينقسم كل أستان إلى طساسيج، والطّسوج إلى رساتيق، ولكلّ أستان والي، وقد ذكرت أسماء بعض ولاة الأستانات من العرب. أمّا الطّساسيج فقد ذكرت مصادر القرن الأوّل لبعضها دهاقين، أمّا الرّساتيق فلم يذكر من كان يتولاها.

ولم تذكر المصادر اسم المركز الّذي يقيم فيه الوالي أو الدّهقان، خاصة وإن هذه الأستانات لم تسم بأسماء الأماكن، أمّا الطّساسيج فقد سمي بعضها بأسماء البلدان، وبعضها بأسماء المنطقة، كالنّهرين الفلاليج، ويبدو أنّ هذا التّقسيم قائم على أساس الإدارة المالية. ففي البهقباذين الأسفل والأوسط سكت دراهم نعرف منها ما يرجع إلى سنة ٦٠ و٦١ و٩٠هـ (انظر: كتالوج النّقود الإسلامية لولكر). كما أنّ ابن خرداذبة وقدامه بن جعفر يذكران إنتاج وجباية كل من طساسيج هذه الأستانات وأرقام قائمتيها متشابهان، إلاّ القليل مما قد يرجع إلى تبدل مقدار الإنتاج أو إلى خطأ النّساخ، وليست لدينا قائمة أخرى أو معلومات أخرى نستطيع أن نركن إليها في تقرير مدى صحة أرقام هاتين القائمتين. ويلاحظ في هذه الأرقام عدم التّناسق بين عدد رساتيق وبيادر وجباية الطّساسيج وإنّ التّباين في بعضها كبير جداً، بل أن بعضها كالسّيلحين، وروذمستان وهرمزجرد لم تذكر له رسايتق. ولا نعلم فيما إذا كان هذا التّباين راجعاً إلى كون الّذين وضعوا حدود هذه التّقسيمات أخذوا بنظر الاعتبار الظّروف الخاصة الّتي كانت تحيط هذه المنطقة، أم إلى التّبدلات الّتي حدثت في هذه المنطقة فأثرت في إنتاجها، أم إلى كلا العاملين. ومن المعلوم أنّ هذه المنطقة كانت على طرف الصّحراء، فهي معرضة لهجمات القبائل وتوغلها، ومع أنّ دولة المناذرة الّتي حكمت في أطراف هذه المنطقة عملت على الحد من تقدم القبائل، إلاّ أنّ هذا لم يصل إلى حد انتفاء الحاجة لإقامة حاميات عسكرية تصد القبائل وتساعد المناذرة أو تراقبهم وقد ظلّت هذه الحاجة حتّى في العهود الإسلامية عندما أنشئت الكوفة وصارت مركزاً لحركات سياسية وعسكرية، كما سنرى عند الكلام عن عين التّمر.

أمّا التّبدلات الّتي أثرت في إنتاج المنطقة فترجع إلى استواء الأرض وما فيها من التواءات تؤدي إلى سرعة امتلاء التّرع، وكثرة تبديل الأنهر والتّرع مجاريها مما يؤدي إلى تبدل مناطق الزّراعة. وقد أهمل بعض موظفي الرّي السّاسانيين، على أثر الفتوح الإسلامية واجباتهم، فتأثرت أحوال التّرع، ولكن العرب سرعان ما عاجلوا الأمر كما قاموا بحفر عدد من التّرع وأنشأوا مشاريع ري جديدة أثرت في تبديل مراكز الإعمار والسّكن، وسندرس هذا الموضوع في مقال خاص.

إنّ هذه التّقسيمات الإدارية الّتي ظلّت حتّى القرن الرّابع الهجري لم تأخذ بنظر الاعتبار التّطورات الكبيرة الّتي حدثت بعد الفتح الإسلامي حيث أنشئت الكوفة الّتي أصبحت مصراً عظيماً استوطنته الجيوش العربية وعوائلها، ونشطت فيه الحياة الاقتصادية، هذا فضلاً عن استيطان عدد غير قليل من عرب الجزيرة في أماكن من المنطقة، وامتلاك عدد من العرب المزارع الكبيرة فيها. كلّ هذا يحملنا على أن نبدأ الوصف بذكر طساسيج الأستان الأعلى، ثمّ نذكر التّفاصيل الإضافية الّتي ترد في كتب التّاريخ، علماً بأنّ سعة التّفاصيل تتناسب طردياً مع القرب من الكوفة.

البهقباذ الأعلى:

تتفق المصادر الّتي تذكر أقسام العراق الإدارية أنّ الأستان البهقباذ الأعلى يتكون من ست طساسيج هي:

(١) بابل.

(٢) خطرنيه.

(٣) الفلوجة العليا.

(٤) الفلوجة السّفلى.

(٥) النّهرين.
(٦) عين التّمر[١].

الطّسوج	الرّساتيق	البيادر	الحنطة	الشّعير	الورق بالألوف
بابل خطرنيه	١٦	٣٧٨	٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٥٠
الفلوجة العليا	١٥	٢٤٠	٥٠٠	٥٠٠	٧٠
الفلوجة السّفلى	٦	٧٢	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٢٨٠
النّهرين	٣	١٨١	٣٠٠	٤٠٠	٤٥
عين التّمر	٣	١٤	٣٠٠	٤٠٠	٤٥

ويكرر قدامة نفس الأرقام المذكورة عن الحنطة والشّعير والورق، ولا يذكر شيئاً عن الرّساتيق والبيادر.

بابل:

إن شهرة بابل في التّاريخ القديم لا تحتاج إلى تأكيد، وقد أطلق الإغريق اسمها على كلّ الإقليم غير أنّها في العصور الإسلامية لم تكن سوى بلدة صغيرة، أو قرية، بقربها جسر بابل الّذي ذكرته بعض المصادر الإسلامية[٢].

الجامعين:

وأبرز ما بقرب بابل هو الجامعين، وقد أشار سهراب إلى الجامعين العتيق والمحدث (ص ١٣٥) ولعل أقدمها هو الّذي سمى به نهر الجامع الّذي حفره خالد القسري[٣].

وفي الجامعين أنشأ سيف الدّين صدقه بن منصور الحلة «وكانت أجمة يأوي إليها السّباع.. فنزل بها باهله وعساكره وبني بها المساكن الجليلة والدّور الفاخرة، وتوق أصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ، وقد قصدها التّجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدّة حياة سيف الدّولة، فلما قتل بقيت على عمارتها فهي اليوم قصبة تلك الكورة»[٤].

(١) (ابن خرداذبة ص٨، ١٠ قدامه: كتاب الخراج ص ٢٣٦ ياقوت ١/ ٧٧٠) ويذكر ابن خراداذبة تفاصيل إنتاجيتها.
(٢) انظر مروج الذّهب ١/ ٧٨، ٢/ ١١٥، ٤/ ٢٦٦ المقدسي ص ١٢١.
(٣) (فتوح البلدان ص ٢٨٦ الطبري ٢/ ١٦٥٥ انظر أيضاً ٣/ ١٠٨٥ اليعقوبي ٢/ ٥٤٣).
(٤) (معجم البلدان ٢/ ٣٢٢ انظر أيضاً ٢/ ١٠٠وانظر عن الجامعين والحلة ما كتبه عبد الجبار ناجي في أطروحته للماجستير عن الإمارة المزيدية) والحلة مركز اللّواء المسمى باسمها.

وبالقرب من الحلة برملاحه «شرقي قرية يقال لها القسونات» بها قبر باروخ أستاذ حزقيل وقبر يوسف الرّبان وقبر يوشع وليس بيوشع بن نون، وقبر عزره، وليس عزره ناقل التّوراة الكاتب، والجميع يزوره اليهود وفيها قبر حزقيل المعروف بذي الكفل يقصده اليهود من البلاد الشّاسعة للزّيارة[٥]. ولا شك أنّ برملاحه هي الكفل الحالية.

وبقرب الحلة الصّروات[٦]. والغامرية[٧]. والمشرك[٨]. وكذلك واسط وهي قرية قرب مطير أباذ قرب حلة بني مزيد يقال لها واسط مرزابلا[٩]. وشوشة وبها قبر القاسم بن موسى الكاظم[١٠]. وهذا القبر معروف اليوم وموقعه في قرية تسمى القاسم.

خطرنية:

تذكر خطربيه مع بابل وتقرن بها في كثير من المصادر، فقد ذكر البلاذري بسطام نرسي دهقان بابل وخطرنيه[١١].

كما أنّ كلاً من ابن خردذابه وقدامه ذكرا إنتاج بابل وخطرنيه مجتمعين، كلّ هذا يدل على أنّ خطرنيه قرب بابل، أمّا سهراب فيذكر أنّ نهر سورا «يمر بالجامعين المحدث والقديم، ويمر إلى أحمد أباذ وخطرنيه، ويمر إلى قسمين» (ص١٢٥) مما يدل على أنّها جنوبي بابل والحلة.

تذكر بعض الرّوايات أنّ أبا مسلم الخراساني أصله من خطرنيه[١٢]. ويذكر البلاذري أنّ المختار الثّقفي كانت له قرية في خطرنيه[١٣]. ويسمى الطّبري هذه القرية (لقفا)[١٤].

الفلوجتان:

ورد ذكر الفلوجة أحياناً بصيغة الجمع (الفلالج)[١٥]. وأحياناً بالتّثنية (الفلوجتين)[١٦]. كما وردت بالمفرد[١٧].

يذكر ياقوت[١٨]. أنّ «الفلوجة الكبرى والفلوجة الصّغرى قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التّمر، ويقال الفلوجة العليا والفلوجة السّفلى.

(٥) (ياقوت ١/ ٥٩٤ انظر أيضاً ٣/ ٣٣٢).
(٦) (ياقوت ٣/ ٣٨٣).
(٧) (ياقوت ٣/ ٧٦٩).
(٨) (ياقوت ٤/ ٥٣٧).
(٩) (ياقوت ٤/ ٨٩١).
(١٠) (ياقوت ٣/ ٣٣٥).
(١١) (فتوح البلدان ص ٢٦٥/ ٤٥٧).
(١٢) (الطبري ٢/ ١٩٦٠).
(١٣) (أنساب الأشراف ٥/ ٢٠٨).
(١٤) (الطبري ٢/٥٢٠).
(١٥) (انظر الطبري ١/ ٢٠٥٢، ٢٠٥٧، ٢٢٠٣، ٢/ ١٠٧٢ فتوح ٢٤٥/ ٢٦٥/
(١٦)(فتوح ٢٥٤).
(١٧) (الطبري ١/ ٢٠٥٨، ٣/ ١٥١٧، ٢٢٥٦ ياقوت ٢/ ٦٠٠، ٩٠٥).
(١٨) (٣/ ٩١٦).

ويذكر الطّبري «وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس ٢٣ فرسخاً من الكوفة[١]. فإذا قدرنا الفرسخ الإسلامي كيلو مترات، فإنّ بعدها عن الكوفة يكون حوالي ١٣٠كيلو متراً، أي المنطقة الواقعة شمالي الإسكندرية الحالية، وهي جنوبي الفلوجة الحالية.

إنّ إشارة الطّبري إلى «فم الفرات من أرض الفلوجة العليا» تدل على تفرع الفرات في الفلوجة.

والواقع أنّ الفرات يتفرع عدّة فروع في هذه المنطقة، فيذكر سهراب (١٢٣) وياقوت (٤/ ٨٤٢) إنّ نهر عيسى يأخذ من نهر الفرات عند دمما ويقول ياقوت (٢/ ٦٠٠) إنّ «دمما قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة».

غير أنّ سهراب يصف مجرى الفرات وما يتفرع منه، ويذكر أنّه بعد أن يجري الفرات أحد عشر فرسخاً يتفرع إلى فرعين، أحدهما نهر الكوفة والثّاني نهر سورا الّذي يستمر في مجراه وتتفرع منه فروع عدّة إلى قنطرة القامغان حيث يتفرع منه سورا الأسفل ثمّ يمر «بقرى وعمارات وخطرنيه والجامعين والفلوجة العليا والسّفلى».

(١٢٥) مما يدل على أنّ الفلوجيتين قرب بابل والحلة، وهي بعيدة عن دمما، أو قد تمتد إلى دمما.

يقول ياقوت أنّ الفلوجة قرب عين التّمر (٣/ ٩١٦)، ويذكر الطّبري أنّ الحجاج عند مسيره لقتال عبد الرّحمن بن الأشعث «مر يدير قرة، قال: «ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين، وإنّ الفلاليج وعين التّمر إلى جنبنا»[٢]. ويذكر عند الكلام عن حركات المسلمين الأولى في فتح العراق أنّهم كانوا «يشنون الغارات إلى عين التّمر وما والاها من الأرض من أرض الفلاليج»[٣]. ولما فرّ ظيز جشنس بمال الفلوجة تبعه ابن الحر «حتّى مرّ بعين التّمر»[٤]. وكلّ هذا يظهر أنّ الفلوجة تقع قرب عين التّمر.

والفلوجة قريبة أيضاً من كربلاء، فيذكر الطّبري أنّ خالد بن الوليد لما قدم العراق «فسلك الفلوجة حتّى نزل بكربلاء»[٥].

وفي الفلوجة تقع قرية بني جعدة[٦]. (وقرية الزّابوقة)[٧].

النّهرين:

في كتب التّاريخ عدّة نصوص تذكر النّهرين اللذين سمى الطّسوج بهما، فعند الكلام عن حركات المثنى بن حارثة يقول الطّبري «وسلك المثنى وسط السّواد فطلع على النّهرين ثمّ على الخورنق»[٨]. ولما تقدم أبو الصّبار العبدي إلى النّهرين «فقلت له إن كنت إنّما تريد النّهرين، فظننت أنّه يريد أن يتشطط الفرات.. فقال لي أنا أريد نهري كربلاء»[٩]. ولما وصل أبو السّرايا إلى عين التّمر «وأخذ على النّهرين حتّى ورد إلى نينوى فجاء إلى قبر الحسين»[١٠]. ويذكر الطّبري إنّ «ظهر الكوفة يقال له اللسان وهو فيما بين النّهرين إلى العين عين بني الجراء»[١١].

إنّ النّص المتعلق بأبي السّرايا يدل على أنّ النّهرين بين عين التّمر ونينوى، أمّا النّص عن أبي الصّبار العبدي فيدل على أنّ النّهرين هما نهرا كربلاء، وليسا فرعي الفرات.

وقد ذكرت النّصوص بعض الأماكن في النّهرين أو قربها، فيذكر الطّبري أنّه عندما كان سعد ابن أبي وقاص معسكراً بالقادسية «خرج سواد وحميضة في مائة مائة فأغاروا على النّهرين» ولما هددتهم الفرس أنجدهم بعاصم بن عمرو ومعه جابر الأسدي «فلقيهم بين النّهرين وأصطيميا»[١٢]. ولعل أصطيميا هذه هي الّتي يسميها موسى بن طلحة استينيا والّتي يروى أنّ الخليفة عثمان أقطعها عمار بن ياسر[١٣]. أو خباب بن الأرت[١٤].

ويذكر الطّبري أنّه عندما كان سعد معسكراً بالقادسية «أغار على النّهرين عمرو بن الحارث فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة فسلكوا أرض شيلي وهي اليوم نهر زياد حتّى أتوا العسكر، وقال عمرو ليس بها يومئذ إلاّ نهران»[١٥].

فأمّا نهر شيلي فإنّ البلاذري يذكر «إنّ بني شيلي بن فرخزاذان المروزي يدعون أنّ سابور حفرة لجدّهم حين ربته بتغيا من طسوج الأنبار، والّذي يقول غيرهم أنّه نسب إلى رجل يقال له شيلي كان متقبلاً لحفره، وكانت له علبة مبقلة في أيّام المنصور أمير المؤمنين، وإنّ هذا النّهر كان قديماً مندفناً، فأمر المنصور بحفره فلم يستتم حتّى توفي فاستتم في خلافة المهدي، ويقال أنّ المنصور كان أمر بإحداث فوهة له فوق فوهته القديمة فلم يتم ذلك حتّى أتمها المهدي»[١٦]. ويضيف ياقوت أنّ هذا النّهر «عرف بنهر زياد ابن أبيه لأنّه استحدث حفره»[١٧]. وقد ورد ذكر نهر شيلي في التّلمود البابلي[١٨].

(١) (الطبري ٣/ ١٣).
(٢) (الطبري ٢/ ١٠٧٢).
(٣) (الطبري ١/ ٢٢٠٣).
(٤) (الطبري ٢/ ٧٧٣).
(٥) (الطبري ١/ ٢٠٥٨).
(٦) (الطبري ٢/ ١٠٩٥).
(٧) (الطبري ٣/ ٢٢٥٦ ياقوت ٢/ ٩٠٥).
(٨) (الطبري ١/ ٢١٨٤).
(٩) (الطبري ٢/ ١٧١٠ مقاتل الطّالبيين ص١٥٣).
(١٠) (مقاتل الطّالبيين ص٢٢١٠).
(١١) (الطبري ١/ ٢٤٨٥ ياقوت ٤/ ٣٥٥).
(١٢) (الطبري ١/ ٢٢٥٨).
(١٣) (أبو يوسف: الخراج ص٦٢/ ٦٨ فتوح البلدان ص ٣٨١ بيروت)
(١٤) (أبو يوسف ص٦٨).
(١٥) (الطبري ١/ ٢٢٤٥).
(١٦) (فتوح ٢٧٤- ٥).
(١٧) (معجم البلدان ٤/ ١٨٤ انظر أيضاً ٣/ ٣٥٨).
(١٨) (انظر كتاب جغرافية التّلمود لنيوباور ص٣٦٢).

أمّا باب ثوراء فلم تذكرها المصادر الأخرى، ولكن ورد ذكر لبانبورا، فيروي الطّبري أنّ خالد بن الوليد عندما قدم العراق عين ولاة منهم «بشير بن الخصاصية على النّهرين، فنزل الكويفة ببانبورا»[١]. ويقول ياقوت إنّ كويفة ابن عمر هي «قرب بزيقيا»[٢]. أمّا بزيقيا فإنّ ياقوت يذكر أنّها «قرية قرب حلة بني مزيد»[٣]. ويذكر أيضاً أنّ «الدّير الخصيب قرب بابل عند بزيقيا وهو حصن»[٤]. غير أننا لا نستطيع تحديد مكانها بالضبط.

من أبرز الأماكن الموجودة في النّهرين هي كربلاء الّتي لا تزال قائمة ومحتفظة بمكانتها الخاصة نظراً لأنّها المكان الّذي قتل ودفن فيه الحسين الّذي لا يزال يزور مشهده سنوياً مئات الألوف من النّاس، وقد ألفت في تاريخها ومشاهدها مؤلفات أحدثها «بغية النّبلاء في تاريخ كربلاء» للسّيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة.

وعند كربلاء تقع قري نينوى[٥]. وقد ظهر في نينوى سنة ٢٥٠هـ العلوي معلناً الثّورة ضد العبّاسيين[٦]. كما أنّ المعتضد لما وجه سنة ٢٨٧هـ مؤنس إلى الأعراب بنواحي الكوفة وعين التّمر سار «مؤنس ومن معه حتّى بلغا الموضع المعروف بنينوى»[٧]. وقد حدد الدّكتور عبد الجواد الكليدار جهة موقعها بأنّه «في شرقي الحائر إلى الجنوب الشّرقي منه»[٨].

وبالقرب من كربلاء تقع أيضاً الغاضرية، وأهلها من بني أسد، وهم الّذين دفنوا الحسين[٩]. وهي «في الشّمال الشّرقي من كربلاء.. حسب الظّاهر من البساتين الواقعة اليوم على الجهة اليمنى من نهر الحسينية في الشّمال الشّرقي من المدينة بين تل الهيالي ومقام الإمام جعفر الصّادق وأربع نهران وهي لا تزال معروفة باسم الغاضريات»[١٠].

وبالقرب من كربلاء أيضاً تقع شفيه[١١]. والعقر الّتي كانت على الفرات «وهي حصينة»[١٢]. مما يدل على أنّها كانت أكبر قرى هذه المنطقة في أوائل العهد الأموي.

(١) (الطبري ١/ ٢٠٥٢ ياقوت ١/ ٤٨٢).
(٢) (ياقوت ٤/ ٣٣١).
(٣) (١/ ٦٠٨).
(٤) (٢/ ٦٥٧).
(٥) (الطبري ٢/ ٢٨٧، ٣٠٦، ٣٠٩ ياقوت ٤/ ٨٧٠).
(٦) (الطبري ٣/ ١٦٢٠، ١٦٢٣).
(٧) (الطبري ٣/ ١٩٢٠).
(٨) (تاريخ كربلاء ص٩٩).
(٩) (الطبري ٢/ ٣٠٦).
(١٠) (تاريخ كربلاء ص٩٩).
(١١) (الطبري ٢/ ٣٠١).
(١٢) (الطبري ٢/ ٣٠٦).

ذكرت كتب التّاريخ الأماكن الواقعة على الطّريق بين كربلاء والكوفة في ثلاث مناسبات، فعندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي مع التّوابين من الكوفة عسكر بالنّخيلة ثمّ «أمر أن يبيت النّاس بدير الأعور، ثمّ ترك إلى أقساس مالك، ثمّ أسر منه فأصبح عند قبر الحسين»[١٣]. ولما تقدمت جيوش العبّاسيين بعد وصولهم العراق، إلى الكوفة، سار قائدهم حميد بن قحطبة «حتّى نزل كربلاء ثمّ دير الأعور ثمّ العبّاسية»[١٤]. كما «ارتحل الحسن بالجنود حتّى نزل كربلاء، ثمّ ارتحل فنزل سورا، ثمّ نزل بعدها دير الأعور، ثمّ سار منها فنزل العبّاسية»[١٥].

أقساس مالك:

لقد ذكرت أقساس مالك عند الكلام عن المحطات الّتي توقف فيها سليمان بن صرد، وهي آخر محطة قبل كربلاء، أي أنّها كانت قريبة من كربلاء، ولعل قلة ورود اسمها راجع إلى قلة أهميتها أو إلى أنّ موقعها ناء عن الطّريق العام.

يذكر البلاذري أنّ أقساس مالك «نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد هند بن لجم أحد بني حذافة بن زهر بن إياد بن نزار»[١٦]. ويذكر السّمعاني أنّها «قرية كبيرة بالكوفة نزلت في صحرائها منصرفي من الكوفة وقرأت بها جزءاً على شيخنا أبي سعد بن البغدادي[١٧] أمّا ياقوت فيقول أنّها «قرية أو كورة بالكوفة»[١٨]

دير الأعور:

ورد ذكر دير الأعور في النّصوص الثّلاثة الّتي ذكرناها أعلاه عن الطّريق بين كربلاء والكوفة، بما يوحي أنّه في منتصف الطّريق تقريباً، وهذا الدّير ينسب (لرجل من إياد من بني أمية بن حذافة كان يسمى الأعور»[١٩] فهو من أديرة إياد[٢٠]

وبالإضافة إلى النّصوص الثّلاثة المذكورة أعلاه، فقد ورد هذا الدّير في مناسبات أخرى، فلما تقدم القائد السّاساني رستم إلى القادسية خرج «من كوثى حتّى نزل ببرس، ثمّ ركب ونادى في النّاس بالرّحيل فخرج ونزل بحيال دير الأعور، ثمّ انصب إلى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النّجف، بحيال الخورنق إلى الغريين»[٢١].

(١٣) (الطبري ٢/ ٥٤٥).
(١٤) (الطبري ٣/ ١٥).
(١٥) (الطبري ٣/ ١٧).
(١٦) (فتوح البلدان ص٢٨٣).
(١٧) (الأنساب ١/ ٣٣٠ طبعة حيدر آباد).
(١٨) (١/ ٣٣٧).
(١٩) (فتوح البلدان ص٢٨٣ البلدان لابن الفقيه ص١٨٢ معجم البلدان ٢/ ٦٤٤).
(٢٠) (ابن الفقيه ص١٣٥ عن الهيثم بن عدي، البكري ص٦٩ عن ابن شبة).
(٢١) (الطبري ١/ ٢٢٥٤- ٥). انظر أيضاً الأخبار الطّوال للدّينوري ص١١٩، (طبعة الشّيال).

كما أنّ عبيد الله بن الحر لما تقدم إلى الكوفة في زمن ابن الزّبير بعث إليه المصعب عمر بن عبيد الله بن معمر «فقاتله فخرج إلى دير الأعور»[1].

ولما ثار حميد بن عبد الحميد «توجه إليه سعيد وأبو البط من النّيل إلى الكوفة، فلما صاروا بدير الأعور أخذوا طريقاً يخرج بهم إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهي»[2].

العبّاسية:

لقد أوردنا نص الطّبري الّذي يذكر فيه تقدم حميد والحسن بن قحطبة من كربلاء إلى الكوفة، ومرورهما بعد دير الأعور بالعبّاسية[3]، وقد ذكرت العبّاسية في نص آخر أورده الطّبري حيث قال أنّه عندما قتل زيد بن علي اقترح بعضهم دفنه[4].

وينقل المجلسي عند الكلام عن مسير سليمان بن صرد الخزاعي إلى عين الوردة أنّه خرج من الكوفة إلى النّخيلة «ولما أراد النّهوض بعسكره من النّخيلة وهي العبّاسية»[5] غير أنّ الطّبري يذكر العبّاسية والنّخيلة في زمن واحد، مما يدل على أنّهما مكانان مختلفان ولكنهما فيما يبدو متقاربان، ونظراً لأنّ النّصوص الّتي أوردت ذكر العبّاسية ترجع إلى العصر الأموي، فإنّ اسمها لا علاقة له بالعبّاسيين.

النّخيلة:

يتبين من نص مسير سليمان بن صرد والتّوابين أنّ أوّل محطة من الكوفة هي النّخيلة الّتي تردد ذكرها في حوادث عدّة، فبقربها اشتبك المسلمون مع الفرس الّذين كان يقودهم مهران[6] وكان المسلمون الّذين شاركوا في المعركة يفاخرون بأنّهم «أصحاب النّخيلة والقادسية»[7].

وقد عسكر عند النّخيلة الإمام علي عند خروجه من الكوفة إلى صفين[8] كما مرّ بها في طريق رجوعه من صفين، وكانت بيوت الكوفة ترى من بعد اجتيازها[9] وقد مرّ بها أيضاً عندما خرج لمقاتلة الخوارج[10]، ولما اقتربت القوات الّتي أرسلها معاوية للغارة على الأنباء خرج الإمام علي «حتّى أتى النّخيلة»[11].

(١) (الطبري ٢/ ٧٧٥، ابن الأثير ٤/ ٢٤١ طبعة دير نبرج).
(٢) (الطبري ٣/ ١٠٢٠).
(٣) (الطبري ٣/ ١٥، ١٨).
(٤) (الطبري ٢/ ١٧٠٩).
(٥) (بحار الأنوار ٤٥/ ٣٥٨).
(٦) (الطبري ١/ ٢٢٠٠ فتوح البلدان ص٢٤٥).
(٧) (الطبري ٢/ ٧٧٢).
(٨) (الطبري ١/ ٣٢٥٦، ٣٢٥٩).
(٩) (الطبري ١/ ٣٣٤٥).
(١٠) (الطبري ١/ ٣٣٦٩، ٣٣٨٥).
(١١) (الطبري ١/ ٣٤٤٦).

ولما قدم معاوية العراق بعد أن استتبت له الخلافة نزل النّخيلة[12] وقد صلّى فيها الجمعة قبل دخوله الكوفة[13]، ولما تحرك التّوابون في سنة ٦٥هـ للطلب بدم الحسين «اتعدوا الاجتماع بالنّخيلة للمسير إلى أهل الشّام»[14] وقد عسكر فيها سليمان بن صرد الخزاعي رئيس التّوابين[15] كما خرج إليها الحارث بن عبد الله بعد قيام المختار بحركته في الكوفة[16]، وقد نزلها عبد الملك بن مروان بعد انتصاره على المصعب في موقعة مسكن، قبيل دخوله الكوفة[17]، كما عسكر فيها أيضاً عبد الحميد بن عبد الرّحمن والي الكوفة عندما ثار عليه يزيد بن المهلب[18] كما عسكر فيها أيضاً أبو سلمة الخلال بعد أن أعلن العبّاسيون ثورتهم»[19].

يذكر المسعودي أنّ «النّخيلة بظهر الكوفة»[20] ويقول ياقوت أنّ «النّخيلة موضع قرب الكوفة على سمت الشّام»[21] والواقع أنّ النّصوص الّتي أوردناها أعلاه تؤيد أنّ النّخيلة تقع في شمالي الكوفة، غير أنّ المصادر لا تحدد بعدها عن الكوفة، ولما كانت إحدى المحطات الثّلاثة بين الكوفة وكربلاء، فيمكن القول أنّها تقع في الرّبع الأوّل من الطّريق، وأنّها بالقرب من جسر العبّاسيات الحالي.

الجوسق الخرب ودير الشّاء:

وبالقرب من النّخيلة يقع الجوسق الخرب الّذي اشتبكت عنده جيوش معاوية مع الخوارج[22] وقد ذكره أبو نواس في شعره[23].

وعلى بعد فرسخ وميل من النّخيلة يقع دير الشّاء[24] ولما كان الفرسخ يساوي ستة كيلومترات، فدير الشّاء يبعد عن النّخيلة حوالي سبعة كيلومترات ونصف، ولكننا لا نعرف في أية جهة من النّخيلة يقع.

الجسر:

لقد كان على الفرات عند الكوفة جسر ورد ذكره في عدد من الأحداث[25] ويبدو أنّه كان عليه شخص خاص موكل به،

(١٢) (الطبري ٢/ ١٠ مقاتل الطّالبيين ٦٩).
(١٣) (مقاتل ٧٠).
(١٤) (الطبري ٢/ ٤٩٧، ٥٠٣).
(١٥) (الطبري ٢/ ٥٣٨، ٥٤٣).
(١٦) (أنساب الأشراف ص١١٦ طبعة أهلورت).
(١٧) (الطبري ٨١٣/٢ أنساب الأشراف ٥/ ٣١٠، ٣٥٢، ٣٥٣).
(١٨) (الطبري ٢/ ١٣٩٨).
(١٩) (الطبري ٣/ ٢٠، ٦٠).
(٢٠) (مروج الذّهب ٥/ ٢٥٣).
(٢١) (ياقوت ٤/ ٧٧١).
(٢٢) (ياقوت ٢/ ١٥٣، ٤/ ٧٧١).
(٢٣) (ياقوت ١/ ٧٥٥، ٢/ ١٥).
(٢٤) (ياقوت ٢/ ٦٧٣).
(٢٥) (الطبري ٢/ ٧٢، ٧٣، ١٥١٩).

فيروي المسعودي أنّه عندما ضرب الحجاج البعث «فازدحموا على الجسر حتّى سقط بعض النّاس في الفرات، فأتى صاحب الجسر فقال أصلح الله الأمير قد سقط النّاس في الفرات، فقال ويحك ومم ذلك، قال أهل ازدحموا على الجسر حتّى سقط بعض النّاس، فقال انطلق فاعقد له جسرين»[١].

وكان تقع خلف الجسر دوران فيها قصر لإسماعيل أخي خالد بن عبد الله القسري[٢].

وتقع وراء الجسر أيضاً زرارة حيث يقول الطّبري أنّ حيان بن ظبيان الخارجي لما أعلن ثورته قال أحد أصحابه «انزلوا بنا إذا من وراء المصر الجسر، وهو موضع زرارة، وإنّما بنيت زرارة بعد ذلك إلاّ أبياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك»[٣] ويذكر ياقوت أنّ «زرارة محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمرو بن عدي بن البكار وكانت منزله فأخذها معاوية منه، ثمّ أصفيت حتّى أقطعها أبو جعفر محمّد بن الأشيب بن عقبة الخزاعي، وكان زرارة على شرطة سعيد بن العاص إذ كان بالكوفة، وفي الحديث نظر علي إلى زرارة فقال ما هذه القرية، قالوا قرية يلحم يباع فيها الخمر، فعبر إليها الفرات على الجسر، ثمّ قال علي بالنيران أضرموا فيها فإن الخبيثة يأكل بعض بعضاً، قال فاحترقت من غربيها حتّى بلغت بستان خواستابر حيرونا»[٤].

وقد تردد ذكر زرارة في الأخبار، فقد نزلها الخوارج عدّة مرّات[٥].

يذكر إبراهيم بن سليمان المقري «كنت واقفاً مع أبي السّرايا على القنطرة ومحمّد بن محمّد بصحراء أثير فجاءه رجل اسمه هرثمة، فقال له إنّ المسودة قد دخلت من جانب الجسر وأخذ محمّد بن محمّد، وإنّما أراد أن ينتحي أبو السّرايا عن موضعه، فلما سمع ذلك وجه فرسه نحو صحراء أثير وأقبل هرثمة حتّى دخل الكوفة إلى موضع يعرف بدار الحسين»[٦].

يتضح من هذا النّص أنّه كان في الكوفة جسر وقنطرة، وأنّ بينهما مسافة متباعدة، وقد أورد البلاذري عن أبي مسعود الكوفي أنّه «كان عمر أبي هبيرة بن معية الفزاري أيّام ولايته العراق أحدث قنطرة الكوفة، ثمّ أصلحها خالد بن عبد الله القسري واستوثق منها، وقد أصلحت بعد ذلك مرّات، قال وقال بعض أشياخنا كان أوّل من بناها رجل من العباد من جعفي في الجاهلية، ثمّ سقطت فاتخذ في موضعها جسراً، ثمّ بناها في الإسلام زياد بن أبي سفيان، ثمّ ابن هبيرة، ثمّ خالد بن عبد الله، ثمّ يزيد بن عمر بن هبيرة، ثمّ أصلحت بعد بني مروان مرّات»[٧].

وهذه القنطرة تقع بقربها زبارا[٨] وقد استقبل النّاس ابن الأشعث عند مقدمة الكوفة لدى قطعه قنطرة زبارا[٩] كما يذكر ياقوت أنّها ذكرت في قتال القرامطة أيّام المقتدر[١٠].

ويبدو أنّ هذه القناطر هي غير قناطر رأس الجالوت الّتي يرد ذكرها في الأخبار.

حمام أعين:

ومن الأماكن المشهورة في الأخبار بعد الجسر هي حمام أعين[١١] وهي على نحو ثلاثة فراسخ من الكوفة[١٢]، وتقع بينها وبين النّخيلة[١٣].

وقد اختلفت الرّوايات في نسبتها، فيروى أنّها نسبت إلى أعين مولى بشر بن مروان[١٤] وإلى أحد موالي بكر بن وائل[١٥]، أو إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص[١٦] ويذكر أبو مسعود الكوفي «سمعت أنّ الحمام قبله كانت لرجل من العباد يقال له جابر أخو جيان الّذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته»[١٧] وقد أقطع عثمان خالد بن عرفطة أرضاً عند حمام أعين[١٨].

وقد عسكر عند حمام أعين عدد من القواد، منهم عمر بن سعد عندما عينه عبيد الله بن زياد على الرّي[١٩] وإبراهيم بن الأشتر[٢٠] وشبيب الخارجي[٢١] وعتاب بن ورقاء قائد الحجاج[٢٢] كما عسكر فيها أبو سلمة والسّفاح في أوّل بيعة السّفاح[٢٣].

(١) (مروج الذّهب ٥/ ٣٠٠).
(٢) (الطبري ٢/ ١٨١٣ ياقوت ٢/ ٦١٥).
(٣) (الطبري ٢/ ١٨٤).
(٤) (٢/ ٩٢١).
(٥) (الطبري ٢/ ١٨٢، ٩١١، ٩٥٧، ٩٦٦).
(٦) (مقاتل الطّالبيين ص٥٥٣).
(٧) (فتوح ٢٨٦).
(٨) (أغاني ١٣/ ٤١).
(٩) (الطبري ٣/ ١٠٧١).
(١٠) (ياقوت ٢/ ٩١٢).
(١١) (الطبري ٢/ ٩٥٧).
(١٢) (الطبري ٣/ ٢١).
(١٣) (الطبري ٣/ ٢٠).
(١٤) (الطبري ٢/ ٣٠٩).
(١٥) (الطبري ٢/ ٩٦٧).
(١٦) (فتوح ٢٨١ ياقوت ٢/ ٣٢٩).
(١٧) (فتوح ٢٨١).
(١٨) (فتوح ٨٧٢).
(١٩) (الطبري ٢/ ٣٠٨).
(٢٠) (الطبري ٢/ ٦٤٩، ٧٠٢).
(٢١) (الطبري ٢/ ٩٥٠، ٩٦٣).
(٢٢) (الطبري ٢/ ٩٤٦).
(٢٣) (الطبري ٣/ ٢٠، ٢١، ٣٤، ٣٧).

دير عبد الرّحمن وقناطر رأس الجالوت ودير موسى:

ومن الأماكن الّتي تذكر في المصادر قرب النّخيلة هو دير عبد الرّحمن فيذكر أبو مخنف أنّ الحارث بن أبي ربيعة لما ثار ضد المختار الثّقفي عسكر بالنّخيلة ثمّ خرج فنزل دير عبد الرّحمن، ثمّ سار إلى سورا[1]، وقد عسكر في هذا الدّير كلّ من الجزل[2] وعبد الرّحمن بن الأشعث[3].

ورد في فهرست الطّبري اسم هذا الدّير[4] وعبد الرّحمن هذا من كبار القواد الأمويين في الشّام وقد قاد بعض الشّواتي[5] وولي دمشق عندما ذهب عبد الملك بن مروان إلى عين الوردة[6] وكان مقرباً له[7] وأورد الطّبري نصوصاً تعين على تحديد موقعه، فهو يقول إنّ المختار عندما أرسل ابن الأشتر خرج ليودعه «ومضى المختار إلى قناطر رأس الجالوت وهي إلى جنب دير عبد الرّحمن، فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرّحمن وقناطر رأس الجالوت وقف»[8]، وهذا يدل على أنّ قناطر رأس الجالوت قرب دير عبد الرّحمن، ويذكر الطّبري عند الكلام عن سير الأشعث عندما أرسله الإمام علي لقتالهم «فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة ثمّ نزل دير عبد الرّحمن ثمّ دير أبي موسى ثمّ أخذ على قرية شاهي ثمّ على دباها ثمّ على شاطئ الفرات»[9].

أمّا دير موسى المذكور في نص الطّبري، فقد ورد ذكره عند الكلام عن عدّة أحداث منها عندما ندب الإمام علي النّاس للخروج لقتال الخوارج حيث طلب من الأشعث أن يخرج إلى دير أبي موسى ليتخذه مقراً له، ثمّ تبعه النّاس «فخرجوا حتّى قطعوا الجسر ثمّ بدير أبي موسى»[10]، ولما خرج يزيد بن أنس الّذي أرسله المختار لأخذ الموصل، تحرك من الكوفة «وخرج معه المختار والنّاس يشيعونه، فلما بلغ دير أبي موسى ودعه المختار وانصرف.. فخرج يزيد بن أنس بالنّاس حتّى بات بسورا ثمّ غدا بهم سائراً حتّى بات بالمدائن»[11].

(١) (الطبري ٢/ ٧٥٩). أنساب الأشراف ص١١٦ طبعة أهلورت.
(٢) (الطبري ٢/ ٩٠٢).
(٣) (الطبري ٢/ ٩٣٠).
(٤) (دير عبد الرّحمن بن أمّ الحكم).
(٥) (الطبري ٢/ ١٥٧).
(٦) (الطبري ٢/ ٧٨٤).
(٧) (الطبري ٢/ ٧٩١).
(٨) (الطبري ٢/ ٧٠١).
(٩) (الطبري ١/ ٣٣٧٦).
(١٠) (الطبري ١/ ٣٤٢٢، ٣٤٢٤).
(١١) (الطبري ٢/ ٦٤٤).

ويتبين من هذه النّصوص أنّ دير موسى يقع شمالي دير عبد الرّحمن، بينه وبين سورا.

شاهي:

إنّ نص الطّبري[12] الّذي أوردناه عن طريق مسير الأشعث يبين أنّه تقع في شمالي دير موسى قرية شاهي الّتي يتردد ذكرها في الأخبار لأنّ فيها معبراً مهماً، فيروي الطّبري أنّ «شبيب قد مضى إلى الكوفة فأقبل حتّى انتهى إلى قرية يقال لها بيطرئي، وقد نزل شبيب حمام عمر، فخرج سبره حتّى يعبر الفرات من معبر قرية شاهي، ثمّ أخذ الظّهر حتّى قدم على الحجاج»[13]، ولما تقدم حميد بن قحطبة من كربلاء إلى العبّاسية وولى القواد الحسن بن قحطبة، وأرسلوا للحسن فلحقه الرّسول دون قرية شاهي[14]، ولما تقدم سعيد وأبو البط ضد هرثمة «من النّيل إلى الكوفة فلما صاروا بدير الأعور أخذوا طريقاً يخرج بهم إلى عسكر هرثمة عند قرية شاهي، فلما التأم إليه أصحابه خرجوا يوم الاثنين.. فلما صاروا قرب القنطرة»[15]، ولما ثار الحسين بن محمّد الطّالبي أرسل المستعين القائد مزاحم لمحاربته «فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهي.. أن يعبروا مخاضة الفرات في قرية شاهي»[16].

وقد ذكر الطّبري شاهي عرضاً في أماكن أخرى[17] واقتصر ياقوت على القول أنّ «شاهي موضع قرب القادسية فيما أحسب»[18].

يقول ابن خرداذبة (١٢٥) وقدامة (١٩٥) إنّ شاهي تبعد عن الكوفة خمسة فراسخ أي حوالي ثلاثين كيلومتراً.

دير الجماجم:

ومن الأماكن المشهورة الواقعة في هذه المنطقة هو دير الجماجم الّذي وقعت فيه المعركة المشهورة الّتي انتصر فيها الحجاج علي عبد الرّحمن بن الأشعث، وقد وردت عدّة روايات في اشتقاق اسمه، فيروي أبو عبيدة أنّه سمي كذلك «من أقداح من خشب كانت تعمل به»[19] ويقال أنّه سمي بذلك لكثرة جماجم دفنت فيه على أثر معركة تختلف الرّوايات في الأطراف

(١٢) (١/ ٣٣٧٦).
(١٣) (الطبري ٢/ ٩٥٧).
(١٤) (الطبري ٣/ ١٥).
(١٥) (الطبري ٣/ ١٠٢).
(١٦) (الطبري ٣/ ١٦١٨).
(١٧) (٣/ ٩٨٤، ١٥١٩، ١٦١٧).
(١٨) (٣/ ٢٤٦).
(١٩) (المعارف ١٥٦ البكري: معجم ما استعجم ٥٧٤ ياقوت ٢/ ١١٢، ١٥٦ النقائض ص٤١٢ طبعة بيفان).

الّتي جرت بينهما، فيروى أنّها جرت بين إياد والفرس[١] ويروى أنّها كانت بين حيين من قضاعة[٢] وهناك رواية أخرى أنّها كانت بين إياد وبهراء[٣] ويذكر ياقوت «أنّ الجمجمة البير تحفر في سبخة فيجوز أن يكون الموضع سمي به[٤].

يقول أبو الفرج الأصبهاني أنّ دير الجماجم «هو دير بظاهر الكوفة على طريق البر الّذي يسلك إلى البصرة»[٥] ويضيف ياقوت على هذا أنّه على سبعة فراسخ من الكوفة[٦]، غير أنّ قربه من دير قرة الّذي يقع شمالي الكوفة يدل على أنّ موقعه شمالي الكوفة وليس في جنوبيها.

ويقول الهيثم بن عدي «دير الأعور هو دير الجماجم»[٧] غير أنّ تردد ذكر الدّيرين في مصادر القرنين الأوّل والثّاني يدل على أنّهما منفصلان ولكنه قد يدل على أنّ دير الجماجم قرب دير الأعور، ولكنه ناح عن الطّريق العام.

دير قرة:

لقد ذكرنا أنّ مما يؤيد وقوع دير الجماجم شمالي الكوفة، هو تأكيد المصادر الّتي بحثت موقعة دير الجماجم على أنّ هذا الدّير يقع قرب دير قرة، وهذا الدّير الأخير هو من ديارات إياد[٨] وهو منسوب إلى رجل اسمه قرة، من إياد[٩] أمّا عن موقعه فيذكر ياقوت أنّه ملاصق لطرف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة ويقول الطّبري إنّ الفرس لما انسحبوا من القادسية «لحقوا بدير قرة وما وراءه ونهض سعد بالمسلمين حتّى نزل بدير قر علي من هناك من الفرس، وقد قدم عليهم وهم بدير قرة عياض بن غنم في مدده من أهل الشّام.. ثمّ إنّ الفرس هربت من دير قرة إلى المدائن»[١٠] ويذكر أيضاً عند الكلام عن موقعة دير الجماجم «وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البرية حتّى مرّ بين القادسية والعذيب، ومنعوه من نزول القادسية، وبعث إليه عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث عبد الرّحمن بن العبّاس في خيل عظيمة من خيل المصريين فمنعوه من نزول القادسية، ثمّ سايروه حتّى ارتفعوا على وادي السّباع، ثمّ تسايروا حتّى نزل الحجاج دير قرة، ونزل عبد الرّحمن بن العبّاس دير الجماجم، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل دير الجماجم والحجاج بدير قرة، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقترب من الشّام والجزيرة، فلما مرّ بدير قرة قال ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين، وإنّ الفلاليج وعين التّمر إلى جنبنا»[١١].

إنّ النّص الأوّل عن سير الفرس يظهر أنّ دير قرة يقع في طريق القادسية- المدائن، أي شمال الكوفة، أمّا النّص الثّاني فيظهر أنّ دير قرة قريب من الفلاليج والنّهرين، أي شمالي الكوفة، ولكن كلا النّصين لا يعيّنان موقعه بالضبط

عين التّمر:

لقد ذكرنا من قبل أن البهقباذ الأعلى من طساسيجة عين التّمر الّتي هي «بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفثا يجلب القصب والتّمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيّام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢هـ»[١٢].

يذكر ابن الكلبي إنّ عين التّمر من مملكة جذيمة الأبرش[١٣]، ويذكر الطّبري أنّ سابور بعد أنّ خرب الحضر وأخذ النّضيرة ابنة ملك الحضر «أعرس بها في عين التّمر»[١٤]، ولما قدم خالد بن الوليد العراق قصد عين التّمر «وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبن في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النّمر وتغلب وإياد ومن لافهم»[١٥]، وقد وصف سيف بن عمر استعداد مهران للدفاع عن الحصن حيث يقول «فلزم مهران العين، ونزل عقة لخالد على الطّريق.. وبين عقة وبين مهران روحة أو غدوة، ومهران في الحصن في رابطة فارس، وعقة على طريق الكرخ (؟) كالخفير»[١٦].. ويقول ابن إسحق في رواية عن صالح بن كيسان أنّ خالداً لما فتح عين التّمر «فأغار على أهلها فأصاب منهم، ورابط حصناً بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتّى استنزلهم فضرب أعناقهم وسبى من عين التّمر ومن أبناء تلك المرابطة سبايا كثيرة فبعث بها إلى أبي بكر، فكان من تلك السّبايا أبو عمره مولى شبان وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمره، وأبو عبيد مولى المعلى من الأنصار من بني زريق، وأبو

(١) (فتوح البلدان ٢٨٣ عن أبي الكلبي، البكري ٧٠/ ٥٧٣ عن ابن شبه، التنبيه والأشراف ١٧٥).
(٢) (الهمداني ١٨٢- ٣).
(٣) (الهمداني ١٨٢ فتوح البلدان ٢٨٣ عن الشّرقي بن قطامي).
(٤) (ياقوت ٢/ ١١٢).
(٥) (بكري ٥٧٣).
(٦) (٢/ ٦٥٢).
(٧) (الهمداني ١٣٥).
(٨) (الهمداني ص١٣٥ عن الهيثم بن عدي).
(٩) (فتوح ٢٨٣ ياقوت ٢/ ٦٨٥).
(١٠) (الطبري ١/ ٢٣٥٧- ٨).
(١١) (الطبري ٢/ ١٠٧٢).
(١٢) (ياقوت ٣/ ٧٥٩).
(١٣) (الطبري ١/ ٧٥٠ ياقوت ٢/ ٣٧٨).
(١٤) (الطبري ١/ ٢٠٥٦).
(١٥) (الطبري ١/ ٢٠٦٢).
(١٦) (الطبري ١/ ٢٠٦٣).

عبد الله مولى زهرة، وخير مولى أبي داود الأنصاري ثمّ أحد بني مازن بن النّجار، ويسار وهو جدّ محمّد بن إسحق مولى قبس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ثمّ أحد بن مالك بن النّجار، وحمران ابن إبان مولى عثمان بن عفان»[1] ويذكر سيف بن عمر أسماء بعض أسرى عين التّمر «منهم أبو زياد مولى ثقيف، ونصير، أبو موسى بن نصير، وأبو عمره جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشّاعر، وسيرين أبو محمّد بن سيرين، وحريث وعلائه.. وحمران.. وعمير وأبو قيس» (الطبري ١/ ٢٠٦٣ انظر أيضاً الطبري ١/ ٣٤٧٢ فتوح البلدان ١٤٢، ٢٤٦- ٧/ ٣٥٢، ياقوت ٣/ ٧٥٩) لقد كان شبي عين التّمر «أوّل سبي قدم المدينة من العجم»[2] ويتبين من القائمة الّتي ذكرناها والّتي تحوي بعض أسماء هؤلاء الأسرى، أنّه برز من نسلهم عدد غير قليل من القواد والشّعراء والعلماء والمتنفذين.

إنّ نص الطّبري عن فتح خالد عين التّمر يظهر أنّه كان فيها حصن تقيم فيه مرابطة ساسانية، ويؤيد ذلك قول البلاذري أنّ خالداً أتى بعد الأنبار «عين التّمر فالصق بحصنها وكان فيه مسلحة للأعاجم حتّى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبى، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم»[3].

ولما تمت سيطرة العرب على العراق أقيمت في عين التّمر مسالح ذكرت كتب التّاريخ عدداً منها فلما أعلن الأشتر العصيان على سعيد بن العاص والي الكوفة زمن عثمان، بعث عدّة مسالح «وبعث حمزة بن سنان الأسدي في خمسمائة إلى عين التّمر ليكون مسلحة بينه وبين الشّام»[4]، وكانت للإمام علي في عين التّمر مسلحة ألف رجل عليهم مالك بن كعب عندما وجه إليهم معاوية النّعمان بن بشير في حملة أغارت عليهم «وأتاه النّعمان ولم يبق معه إلاّ مائة رجل، فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر النّعمان ومن معه، فخطب علي النّاس وأمرهم بالخروج فتثاقلوا، وواقع مالك النّعمان، والنّعمان في ألفي رجل ومالك في مائة رجل»[5]، ويروي ابن شبويه أنّه «بعث معاوية النّعمان بن بشير في ألفين فأتوا عين التّمر فأغاروا عليها وبها عامل لعلي يقال له ابن فلان الأرحبي في ثلاثمائة، فكتب إلى علي يستمده، فأمر النّاس أن ينهضوا إليه فتثاقلوا، فصعد المنبر..»[6].

(١) (الطبري ١/ ٢١٢١).
(٢) (الطبري ١/ ٢٠٧٦).
(٣) (فتوح ٢٤٦).
(٤) (أنساب الأشراف ٥/ ٤٥).
(٥) (الطبري ١/ ٣٤٤٤ عن المدائني).
(٦) (الطبري ١/ ٣٤٤٤).

وفي زمن ابن الزّبير كان على عين التّمر بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشّيباني الّذي هاجمه ابن الحر، فقاتله «وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس»[7].

وفي زمن عمر بن عبد العزيز طلب عدي بن أرطاة من الجند الّذين كانوا يقيمون بعين التّمر أن يوصلوا يزيد بن المهلب إلى الشّام[8].

إنّ إقامة الحاميات والرّوابط في عين التّمر يرجع إلى أهمية موقعها بالنّسبة للكوفة، فهي تقع على أحد مقترباتها الشّمالية، لذلك تقدم إليها خالد بن الوليد في طريقه من العراق إلى الشّام، وعندما خرجت الخوارج الّذين كان المغيرة ابن شعبة قد حبسهم، اقترح أحدهم أن يسيروا إلى حلوان أو إلى عين التّمر «.. فنقيم بها فإذا سمع بنا إخواننا أتونا من كلّ جانب وأوب»[9] كما مر بها شبيب الخارجي في طريقه إلى روذبار»[10].

ولمّا تقدم أهل الشّام لمساعدة الحجاج على أثر ثورة ابن الأشعث «بعث عبد الرّحمن بن الفرق مولى أبي عقيل إلى من أقبل إليه من أهل الشّام فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أمّا بعد فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا على عين التّمر حين تقدموا الكوفة إن شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السّير والسّلام.

فأقبل القوم سراعاً»[11].

ولمّا ذهب ابن الأشعث إلى الكوفة، تقدم الحجاج وأراد «أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة: إرادة أن يقترب من الشّام والجزيرة فيأتيه المدد من الشّام من قريب ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة، فلمّا مر بدير قرة قال ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين، وإنّ الفلاليج وعين التّمر إلى جنبنا، فنزل فكان في عسكره مخندقاً»[12].

ولمّا ولى يزيد الثّالث الخلافة أرسل الحارث ابن العبّاس بن الوليد إلى العراق «وقيل إنّه (أي الحارث) ولمّا كان بعين التّمر كتب إلى من بالحيرة من قواد أهل الشّام يخبرهم بقتل الوليد ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله»[13]. ثمّ إنّ يزيد بن عمر بن هبيرة تقدم من نهر سعيد «حتّى نزل غزة من عين التّمر» حيث اشتبك فيها بمعركة مع المثنى بن عمران العائذي عامل الضّحاك على الكوفة[14]، ثمّ «كتب مروان إلى يزيد بن عمر بن

(٧) (الطبري ٢/ ٧٧٣ انظر أيضاً أنساب الأشراف ٥/ ٢٩٥).
(٨) (الطبري ٢/ ١٣٥٢).
(٩) (الطبري ٢/ ١٨٣).
(١٠) (الطبري ٢/ ٩٢٢).
(١١) (الطبري ٢/ ٩٤٦).
(١٢) (الطبري ٢/ ١٠٧٢).
(١٣) (الطبري ٢/ ١٨٣٨).
(١٤) (الطبري ٢/ ١٩١٥).

هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبيدة بن سوار خليفة الضّحاك بالعراق، فلقي خيوله بعين التّمر فقاتلهم فهزمهم وعليهم يومئذ المثنى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد، ثمّ تجمعوا له بالكوفة بالنّخيلة فهزمهم ثمّ اجتمعوا بالصّراة ومعهم عبيدة فقاتلهم»[١]. ولمّا دخلت القوات العبّاسية الكوفة، أرسل أبو سلمة الخلال قواداً إلى عدّة مناطق «وبعث المهلب وشراحيل في أربعمائة إلى عين التّمر»[٢].

لقد ذكرت بضعة أماكن بالقرب من عين التّمر منها:

النّقيرة: فيروي ياقوت «في كتاب أبي حنيفة إسحق بن بشر بخطّ العبدري في مسير خالد بن الوليد من عين التّمر ووجدوا في كنيسة صبيانا يتعلمون الكتابة في قرية من قرى عين التّمر يقال لها النّقيرة، وكان فيهم حمران بن إبان[٣].

غزة: فيروي الطّبري إنّ الضّحاك الخارجي سار إلى الموصل «وانحط ابن هبيرة من نهر سعيد حتّى نزل غزة من عين التّمر وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضّحاك على الكوفة فسار إليه فيمن معه من الشّراة ومعه منصور بن جمهور وكان صار إليه حين بايع الضّحاك خلافاً على مروان فالتقوه بغزة فاقتتلوا قتالاً شديداً أيّاماً متوالية»[٤].

شفاثه: فيقول ياقوت إنّ عين التّمر «بقربها موضع يقال له شفاثاً»[٥] وهي لا تزال معروفة. غير أنّ أشهر مكان قرب عين التّمر هو قصر مقاتل.

قصر مقاتل:

قصر مقاتل من الأماكن الواقعة قرب عين التّمر ويتردد ذكره في حوادث القرون الأوّلى. ينسب قصر مقاتل إلى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة بن امرئ القيس بن زيد مناة[٦]، وكانت فيه لكسرى مرابطة عليها النّعمان بن قبيصه الطّائي[٧]، وكان الشّاعر الحيري عدي بن زيد ينزل فيه[٨].

لقد ذكر قصر مقاتل في بعض أحداث القرن الأوّل الهجري، فقد نزل فيه الحسين بعد أن تحرك من القادسية متجهاً إلى كربلا[٩] وكان ابن الحر قد نزله بعد مقتل مسلم بن عقيل، وأشار إلى ذلك في شعره[١٠] وقد مر به شبيب عند انسحابه من الكوفة[١١] ومات فيه قيس بن الهيثم السّلمي[١٢].

يقول البلاذري أنّ «قصر بني مقاتل صار لعيسى بن علي»[١٣] ويقول ياقوت إنّ قصر مقاتل «أخربه عيسى بن علي بن عبد الله ثمّ جدد عمارته فهو له»[١٤]. غير أنّ المكان ظلّ محتفظاً باسمه الأوّل، أمّا عيسى بن علي فقد ارتبط اسمه بقصر عيسى الّذي يقع في بغداد عند مصب نهر عيسى ببغداد.

ويذكر البلاذري بعد الكلام عن هجوم خالد على عكبرا والبردان والمخرم في منطقة بغداد «ثمّ عبر المسلمون جسراً كان معقوداً عند قصر سابور الّذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي، فخرج إليه خرزاد بن ماهبنداد بن ماهنبداذ وكان موكلاً به فقاتلوه وهزموه ثمّ لجوا فأتوا عين التّمر»[١٥]. ولا يوضح النّص هل إنّ قصر سابور هو أصل قصر عيسى الّذي ببغداد، أم هل هو نفس قصر مقاتل الّذي يقول البلاذري أنّه صار لعيسى بن علي، أم هل أنّه قصر ثالث غيرهما.

وجدير بنا أن نؤكد على وجوب عدم الخلط بين عيسى بن علي، وبين عيسى بن موسى الّذي كانت له دار الخلافة قرب هاشمية الكوفة. وقد ذكر الطّبري دار عيسى بن موسى حيث قال أنّ المنصور أرسل رجلاً قبض على جماعة من مؤيدي إبراهيم الحسن «فبعث برؤوسهم إلى الكوفة فنصبت ما بين دار إسحق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة»[١٦].

لقد رأينا أنّ نص الطّبري عن مقام الحسين في قصر مقاتل، أنّ موقع هذا القصر بين القادسية وكربلاء، وأنّ النّصوص الأخرى تدل على قربه من الكوفة. والواقع أنّ ياقوت يذكر أنّ «قصر مقاتل كان بين عين التّمر والشّام»[١٧].

ويروي عن نصر أنّ «تبل واد على أميال يسيرة من الكوفة، وقصر بني مقاتل أسفل تبل وأعلاه متصل بسماوة كلب[١٨]. ولا يزال اسم تبل يطلق على واد ضخم يجري في بادية غربي الفرات، غير أنّ القسم الأخير منه الّذي يقع بين ٣٠/ ٤٢° وبين مصبه في هور أبي دبس، يسمى وادي الأبيض، وقد ذكر ابن خرادذبه الأبيض عند كلامه عن محطات الطّريق بين الكوفة والشّام حيث

(١) (الطبري ٢/ ١٩٤٥- ٦).
(٢) (الطبري ٣/ ٢١).
(٣) (ياقوت ٤/ ٨٠٧).
(٤) (الطبري ٢/ ١٩١٥).
(٥) (٣/ ٧٥٩).
(٦) (فتوح البلدان ٢٨٢ ياقوت ٤/ ١٢١ ابن الفقيه ١٨٢).
(٧) (الطبري ١/ ٢٣٥٠).
(٨) (أغاني ٢/ ١٥٤).
(٩) (الطبري ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦ أنساب الأشراف ٥/ ٢٩١).
(١٠) (أنساب الأشراف ٥/ ٢٩١).
(١١) (الطبري ٢/ ٩١٦).
(١٢) (فتوح ٤٠٩).
(١٣) (أنساب الأشراف ٥/ ٢٩١).
(١٤) (٤/ ١٢١).
(١٥) (فتوح ٢٤٩).
(١٦) (الطبري ٣/ ٢٩٦).
(١٧) (٤/ ١٢١).
(١٨) (ياقوت ١/ ٨٢٤).

قال: «من الحيرة إلى القطقطانة إلى البقعة ثمّ إلى الأبيض»[1] مما يدل على أنّ الأبيض كان معروفاً باسمه في العصور الإسلامية الأولى، غير أنّ الجغرافيين الّذين وصلتنا معلوماتهم لم يذكروه، علماً بأنّه لم يصلنا عن هذه المنطقة إلاّ معلومات قليلة. ويلاحظ أنّ الأخيضر يقع على وادي الأبيض، بالقرب من مصبه في هور أبي دبس، الأمر الّذي يرجح أن يكون هو قصر مقاتل، فإن لم يكن هو، فإنّ قصر مقاتل قريب جداً منه.

سلام:

وبالقرب من قصر مقاتل يقع سلام، فينقل ياقوت عن السّكوني عند كلامه عن قصر مقاتل قوله «هو قرب القطقطانة وسلام ثمّ القريات»[2] ويقول أيضاً «سلام موضع عند قصر مقاتل بين عين التّمر والشّام عن نصر، وقال غيره السّلام منزل بعد قصر بني مقابل للمغرب الّذي يطلب السّماوة»[3].

إنّ نص السّكوني قد يوحي بأنّ قصر مقاتل بعد سلام، وإنّ سلام بين القطقطانة وقصر مقاتل، أمّا النّص الأخير من ياقوت فيدل على أنّ سلام يقع بعد قصر مقاتل وغربيه، فإذا كان نص السّكوني أصح، فيكون سلام هو الموضع الّذي لا يزال مذكوراً في الخرائط الحديثة أو قربه.

القطقطانة:

إنّ أكثر الأماكن تردداً في الذّكر بين الكوفة وقصر مقاتل هي القطقطانة وهي من عيون الطّف الّذي هو «أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين ابن علي، وهي أرض بادية قريبة من الرّيف فيها عدّة عيون ماء جارية منها الصّيد والقطقطانة والرّهيمة وعين جمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح الّتي كانت وراء خندق سابور الّذي حفره[4].

ويقول ياقوت «القطقطانة موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطّف به كان سجن النّعمان بن المنذر»[5].

كان جذيمة الأبرش «دار مملكته الحيرة والأنبار وبقة وهيت وعين التّمر وأطراف البر إلى الغمير إلى القطقطانة وما وراء ذلك تجبي إليه»[6] ولمّا نزل المثنى بالطّف «أقام ما بين غضى إلى القطقطانة مسالحه»[7] وقد وجه معاوية الضّحاك بن قيس ليغير على الأعراب غربي الكوفة» ومر بالثّعلبية فأغار على مسالح علي وأخذ أمتعتهم ومضى حتّى انتهى إلى القطقطانة[8]، ولمّا سمع عبيد الله بن زياد بتقدم الحسين إلى الكوفة «بعث الحصين بن تميم صاحب شرطة حين نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة وإلى لعلع»[9].

لدينا عدّة نصوص يمكن منها تعيين جهة موقع القطقطانة، وهذه النّصوص تدل على أنّ القطقطانة بين القادسية والكوفة، وبين عين التّمر.

فيقول السّكوني: «القطقطانة بالطّف بينها وبين الرّهيمة مغرباً نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشّام، ومنه إلى قصر مقاتل ثمّ القريات ثمّ السّماوة، ومن أراد القطقطانة إلى عين التّمر ثمّ ينحط حتّى يقرب من الفيوم وهيت»[10] ويقول أيضاً إنّ قصر مقاتل هو قرب القطقطانة وسلام ثمّ القريات»[11] ويروي الطّبري عند كلامه عن حركات شبيب الخارجي في منطقة الكوفة، أنّه «رجع وقد خاف أهل البادية حتّى أخذ على القطقطانة ثمّ على قصر مقاتل ثمّ أخذ على شاطئ الفرات حتّى أخذ على الحصاصة ثمّ على الأنبار»[12]، وقد وصف ابن خرداذبه محطات الطّريق من الكوفة إلى دمشق بقوله «من الحيرة إلى القطقطانة ثمّ إلى البقعة ثمّ إلى الأبيض ثمّ الحوشي ثمّ إلى المجع»[13] وقد ذكرنا من قبل ترجيحنا أن يكون الأبيض المذكور في هذا النّص هو نفس وادي الأبيض الّذي يأخذ من تبل ويصب في هور أبي دبس، والّذي يقع عليه الأخيضر، ولا نعلم فيما إذا كان إغفال ابن خرداذبه لذكر قصر مقاتل راجع إلى نقص في المطبوع أم إلى أنّ الطّريق في زمنه قد تحول عن قصر مقاتل.

وفي الخريطة الحالية مكان اسمه الطقطقانة، موضعه في نفس المنطقة الّتي تقع فيها القطقطانة، ولعلّها هي نفس المكان ولكن الاسم تحرف على مر الزّمن.

الرّهيمة:

تقع الرّهيمة بين القطقطانة وقصر مقاتل، إذ يقول السّكوني «القطقطانة بالقاف بينها وبين الرّهيمة مغرباً نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشّام ومنه إلى

(١) (المسالك ص٩٩).
(٢) (ياقوت ٤/ ١٢١).
(٣) (ياقوت ٣/ ١١٣).
(٤) (ياقوت ٣/ ٥٣٩ الهمداني ١٧٨ انظر أيضاً فتوح البلدان ص٢٩٧).
(٥) (٤/ ١٣٧).
(٦) (ياقوت ٢/ ٣٧٩).
(٧) (الطبري ١/ ٢٢٥١).
(٨) (الطبري ١/ ٣٤٤٧).
(٩) (الطبري ٢/ ٢٨٨، ٢٩٧).
(١٠) (ياقوت ٤/ ١٣٧).
(١١) (ياقوت ٤/ ١٢١).
(١٢) (الطبري ٢/ ٩١٦).
(١٣) (المسالك ص٩٩).

قصر مقاتل ثمّ القريات ثمّ السّماوة»[١]، ويقول ياقوت أيضاً أنّ الرّهيمة «عين بعد خفية إذا أردت الشّام بين الكوفة بينها وبين خفية، وبعدها القطيفة مغرباً»[٢]، والرّهيمة لا تزال موجودة، معروف موضعها على الخريطة.

أمّا خفية فإنّ ياقوت يقول إنّها «أجمة في سواد الكوفة بينها وبين الرّحبة بضعة عشر ميلاً ينسب إليها الأسود فيقال أسود خفية، وهي غربي الرّحبة ومنها إلى عين الرّهيمة مغرباً»[٣].

٢- البهقباذ الأسفل

(منطقة جنوب الكوفة)

يقع البهقباذ الأسفل في منطقة معقدة سياسياً وطبيعياً، ففي هذا الأستان كانت تقع الحيرة، وهي عاصمة مملكة المناذرة الّتي ساندها السّاسانيون لصد القبائل العربية عن العراق ولمد النّفوذ السّاساني في الجزيرة. وفي العصر الإسلامي أنشئت في هذا الأستان الكوفة الّتي كانت مصرا يقيم فيه المقاتلة للعرب، ومقراً إدارياً للعراق ومعظم أقاليم الهضبة الإيرانية، فضلاً عن أنّها صارت من أعظم مراكز الحياة الاقتصادية والفكرية في العالم الإسلامي.

ثمّ أنّ هذه المنطقة أرضها منخفضة ومستوية، ولذلك تكثر فيها الأهوار والمستنقعات، وتتعرض مجاري الأنهار إلى تبدلات سريعة ومستمرة.

والواقع أنّ كثيراً من الحركات الّتي هددت الدّولة الإسلامية ظهرت في هذه المنطقة، لا من الكوفة نفسها.

ومن المعلوم أنّ العلاقة بين قباذ والمناذرة لم تكن حسنة مما أدى إلى أنّ يهجر المنذر ابن ماء السّماء الحيرة مؤقتاً، ولا بد أنّ هذه الأوضاع السّياسية كان لها تأثير عظيم في حمل قباذ على التّدخل في تنظيم هذه المنطقة، ذلك التّدخل الّذي من أبرز مظاهره تسمية الأستانات الثّلاثة في هذه المنطقة باسمه. غير أنّ سوء العلاقة لم يدم طويلاً، فلمّا جاء أنو شروان إلى العرش عادت العلاقة الطّيبة بين المناذرة والسّاسانيين واستمر هذا الوضع إلى قبيل الفتح الإسلامي حيث قضى السّاسانيون على دولة المناذرة، وتولوا بأنفسهم أمر الدّفاع عن حدود العراق، ووضعوا حاميات فارسية في الحيرة وبعض الأماكن الأخرى، وزال كل نفوذ للمناذرة عليها.

ولمّا فتح العرب العراق أبقوا التّنظيمات الإدارية السّاسانية، بالرّغم من إنشائهم للكوفة في هذه المنطقة، إذ رغم أنّ الكوفة كانت مقر المقاتلة العرب، ومركز إدارة الأقاليم المفتوحة، إلاّ أنّها لم تتدخل في التّنظيمات الإدارية لهذه المنطقة، فظل البهقباذ الأسفل أستاناً قائماً بذاته، وكان فيه مركز لسك النّقود، ولدينا نقود سكت فيه ترجع إلى سنة ٦٠هـ وإلى سنة ٩٠هـ[٤].

يتكون البهقباذ الأسفل من خمسة طساسيج ذكر كل من ابن خرداذبه وقدامه بن جعفر إنتاج كل منهما. ويلاحظ أنّه بالإضافة إلى ما أبديناه عن عدم التّناسق في الأرقام، فإنّ الأرقام الّتي يذكرها كل منهما مختلفة، ولا نعلم فيما إذا كان الاختلاف راجعاً إلى خطأ النّساخ أم إلى تبدل الأحوال خلا الفترة الواقعة بين تدوين كتابي ابن خرداذبه وقدامه.

طساسيج البهقباذ الأسفل	الرّساتيق	البيادر	الحنطة	الشّعير	الورق بالألوف
فرات بادقلى (خ)	١٦	١٧١	٢٠٠٠	٢٥٠٠	٩٩٠
فرات بادقلى (ق)	١٦	١٧١	٥٠٠	٥٥٠٠	١٥٠
السّيلحين (خ)	-	٣٤	١٠٠٠	١٧٠٠	١٠٠
السّيلحين (ق)				١٥٠٠	١٤٠
نستر	٧	١٧٣	١٢٥٠	٢٠٠٠	٣٠٠
روذمستان هرمز جرد	-	-	٥٠٠	٥٠٠	١٠

أمّا السّيلحين فيقع عند الحيرة، وفيه الخورنق وطيزناباد وتقع قربه الصّنين[٥] «وهو بلد كان بظاهر الكوفة، كان من منازل المنذر، وبه مزارع باعه عثمان بن عفان من طلحة بن عبيد الله وكتب له كتاباً مشهوراً مذكوراً عند المحدثين وجدت نسخته سقيمة فلم أنقله»[٦].

وفي هذا الطّسوج يقع نهر السّيلحون الّذي كانت تقيم فيه إحدى مسالح كسرى[٧] وهو يجري من الفرات[٨] وهذا النّهر قريب من مجتمع الأنهر، حيث يروي الطّبري في كلامه عن تقدم لمصعب بن الزّبير إلى الكوفة، ولمّا بلغ المختار أنّهم أقبلوا إليه من البحر وعلى الظّهر سار حتّى نزل بهم السّيلحين

(١) (ياقوت ٤/ ١٣٧).
(٢) (ياقوت ٢/ ٨٨٠).
(٣) (ياقوت ٢/ ٤٥٧).
(٤) (انظر كتاب ولكر كتالوج النّقود الإسلامية).
(٥) (الطبري ١/ ٢٢٣٢).
(٦) (ياقوت ٣/ ٤١٣).
(٧) (ياقوت ٣/ ٢١٨).
(٨) (أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٨).

ونظر إلى مجتمع الأنهار: نهر الحيرة ونهر السّيلحين ونهر القادسية ونهر برسف، فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كلّه في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطّين»[1]. انظر أيضاً أنساب الأشراف[2] ويذكر الطّبري أنّ قرية العشيرة من آخر عمل طسوج السّيلحين[3].

وفي هذا الطّسوج كانت تقع قصور الحيرة وأديرتها.

أمّا فرات بادقلي فقد أخذ اسمه من نهر يمر به، ولعلّه كان من مراكز زراعة تمر الدّقل حتّى سمي بهذا الاسم الّذي يعني بالآرامية «بيت الدّقل».

لقد مر خالد بن الوليد بفرات بادقلي إلى الحيرة رأساً عندما جاء العراق (الطبري ١/ ٢٠٣٨) وسلكه بشير عندما سار من الحيرة إلى البويب (الطبري ١/ ٢١٨٤) ولمّا توغل أبو عبيد الثّقفي «ثار جابان في فرات بادقلي وثار النّاس بعده وأزر المسلمون إلى المثنى بالحيرة»[4].

وبالقرب من فرات بادقلي تقع مقر «من ناحية البر من جهة الحيرة، كانت بها وقعة للمسلمين وأميرهم خالد بن الوليد في أيّام أبي بكر الصّديق»[5].

أمغيشيا:

إنّ أبرز ما في فرات بادقلي هي أمغيشيا «وكانت مصرا كالحيرة، وكان فرات بادقلي ينتهي إليها، وكانت اليس من مسالحها»[6] «ولمّا فرغ خالد من وقعة اليس نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السّواد ومن يومئذ صارت السّكرات في السّواد فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها.. لم يصب المسلمون فيما بين ذات السّلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا، بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة سوى النّفل الّذي نفله أهل البلاد»[7].

أمّا موقع أمغيشيا فيوضحه نص رواه سيف عن بعض شيوخه، فهو يقول «إنّ الازاذبه كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم، فكانوا لا يمد بعضهم بعضاً إلاّ بإذن الملك، وكان قد بلغ نصف الشّرف، وكانت قيمة قلنسوته خمسين ألفاً، فلمّا أخرب خالد أمغيشيا وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى، علم الازاذبه أنّه غير متروك فأخذ من أمره وتهيأ لحرب خالد وقدم ابنه ثمّ خرج في أثره حتّى عسكر من الحيرة، وأمر ابنه بسد الفرات، ولمّا استقل خالد من أمغيشيا وحمل الرّجال في السّفن مع الأنفال والأثقال لم يفجأ خالداً إلاّ والسّفن جوانح، فارتاعوا لذلك، فقال الملاحون أنّ أهل فارس فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه فلا يأتينا الماء إلاّ بسد الأنهار، فتعجل خالد في خيل الازاذبه على فم العتيق، خيل من خيله وهم أمنون لغارة خالد في تلك السّاعة، فأنامهم بالمقر ثمّ سار من فوره وسبق الأخبار إلى ابن الازاذبه حتّى يلقاه وجنده على فم فرات بادقلي، فاقتتلوا فأنامهم فجر الفرات وسد الأنهار وسلك الماء سبيله»[8].

«ويتضح من هذا النّص أنّ موضع الازاذبه كان شمالي موضع خالدن وكان مسيطراً على مصادر الأنهار ولذلك استطاع سدها مما جعل سفن خالد تجنح، وعلى هذا تكون أمغيشيا في جنوبي الحيرة، وإنّ فرات بادقلي يجري بينها وبين الحيرة، ولم تذكر المصادر مقدار بعدها عن الكوفة، وقد جهلها النّاس بعد تدميرها، حيث يذكر عبيد الله بن سعد عن عمّه، سألت عن أمغيشيا بالحيرة فقيل لي منيشيا، فقلت لسيف، فقال هذان اسمان»[9] فلا بد أن يكون موقع أمغيشيا في منطقة الغماس والشّنافية اليوم، حيث الأرض منخفضة تغمرها الأهوار والمستنقعات وتتعرض مياهها للتبدل بفعل الطّمي.

أليس ونهر الدّم:

إنّ رواية الطّبري أنّ أليس من مسالح أمغيشيا يدل على قرب موقع المكانين، ويقول سيف بن عمر «إنّ أليس قرية من قرى الأنبار»[10]، غير أننا نشك في دقة هذا التّعبير لأنّ أمغيشيا الّتي تقع أليس قربها، كانت جنوبي الحيرة يقول «قالوا: ومرّ خالد بن الوليد بزندورد من كسكر فافتتحها، وافتتح درني وذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة، وأتى هرمز جرد فآمن أهلها أيضاً وفتحها، وأتى أليس فخرج إليه جابان عظيم للعجم، فقدم إليه المثنى بن حارثة فلقيه بنهر الدّم، وصالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعواناً، وأقبل خالد إلى مجتمع الأنهار فلقيه ازاذبه صاحب مسالح كسرى فيما بينه وبين العرب فقاتله المسلمون وهزموه، ثمّ نزل خالد خفان، ويقال بل سار قاصداً إلى الحيرة»[11] ويتضح من هذا النّص في سير خالد أنّ الأماكن تتتالى كما يلي: زندورد- درني- هرمز جرد- أليس- نهر الدّم- مجتمع الأنهار- خفان أو الحيرة.

(١) (الطّبري ٢/ ٧٢٥).
(٢) ٥/ ٢٥٨.
(٣) (الطبري ٣/ ٢٢٦٤).
(٤) (الطبري ١/ ٢١٦٧).
(٥) (ياقوت ٤/ ٦٠٥).
(٦) (الطبري ١/ ٢٠٣٧ ياقوت ١/ ٣٥٤).
(٧) (الطبري ١/ ٢٠٣٦- ٧).
(٨) (الطبري ١/ ٢٠٣٧- ٨).
(٩) (الطبري ١/ ٢٠٣٦).
(١٠) (الطبري ١/ ٢٢٠٢ انظر أيضاً ياقوت ١/ ٣٥٤).
(١١) (فتوح ٣٣٩).

لقد مرّ خالد بن الوليد بفرات بادقلي إلى الحيرة ويذكر الطّبري أنّ خالداً تقدّم من النّباج فعرض له جابان صاحب أليس «فبعث إليه المثنى بن حارثة فقاتله فهزمه وقتل جل أصحابه إلى جانب نهر ثمّ يدعى نهر دم لتلك الوقعة، وصالح أهل أليس وأقبل حتّى دنى من الحيرة، فخرجت إليه خيول ازاذبه صاحب خيل كسرى الّتي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب فلقوهم بمجتمع الأنهار»[١]، وهذه الرّواية تختلف عن رواية البلاذري من حيث أنّها تذكر أنّ خالداً تقدّم من النّباج، إلاّ أنّها تتفق مع رواية البلاذري من حيث أنّ خالداً اشتبك مع الفرس عند أليس في نهر الدّم ثمّ تقدّم إلى مجتمع الأنهار فالحيرة.

ويذكر الطّبري أنّه كانت على نهر الدّم أرجاء[٢] وقد اشتبك المثنى أيضاً مع الفرس في أليس عندما تولى القيادة بعد البويب[٣].

إنّ أليس لا بد أن تكون جنوبي أمغيشيا لأنّ خالداً تقدّم إلى أمغيشيا بعد أن اجتاز أليس[٤] ولما كان قادماً من الجنوب، فلا بد أن تكون أليس جنوبي أمغيشيا.

يتردد ذكر نستر أليس في كتب الفقه الّتي تؤكد أنّ أرضها فتحت صلحاً ويختلف حكمها عن بقيّة أراضي السّواد.

نستر:

يتردد ذكر نستر في أحداث الفتوح الإسلامية، ويقول ابن الفقيه الهمداني «كان أهل الكوفة يفخرون بأنّ من فتوحهم نستر»[٥] ويروي البلاذري أنّ أبا عبيد الثّقفي عندما جاء لفتح العراق ووصل العذيب «بلغه أنّ جابان الأعجمي بنستر في جمع كثير فلقيه، فهزم جمعه وأسر منهم، ثمّ أتى درني وبها جمع للعجم فهزمهم إلى كسكر»[٦]، أي أنّ مواقع هذه الأماكن من الغرب إلى الشّرق هي: العذيب- نستر- درني- كسكر (واسط) ولا ريب أنّ نستر تقع جنوبي الكوفة، غير أننا لا نستطيع تحديد موقعها.

وفي نستر يقع عقر سويد وذلك أنّ خالد بن الوليد بعث من الحيرة عدّة مسالح ومنها «سويد ابن مقرن المزني إلى نستر فنزل العقر فهي تسمى عقر سويد إلى اليوم»[٧].

(١) (الطبري ١/ ٢٠١٩).
(٢) (الطبري ١/ ٢٠٣٥).
(٣) (الطبري ١/ ٢١٨١- ٣، ٢٢٠٢).
(٤) (الطبري ١/ ٢٠٣٦).
(٥) (البلدان ص١٦٥).
(٦) (فتوح ٣٥٠).
(٧) (الطبري ١/ ٢٠٥٢).

روذمستان:

ويذكر الطّبري أنّه في سنة ٢٨٧ «أوقع بدر غلامي الطّائي بالقرامطة على غرة منهم بنواحي روذميسان (!) وغيرها فقتل منهم فيما ذكر مقتلة عظيمة ثمّ تركهم خوفاً على السّواد أن يخرب إذ كانوا فلاحيه وعماله وطلب رؤساءهم في أماكنهم فقتل من ظفر به منهم»[٨].

وفي روذمستان يقع نهر اط فيقول الطّبري أنّ خالد بن الوليد «بعث اط بن أبي اط إلى روذمستان فنزل منزلاً على نهر سمي ذلك النّهر به ويقال له نهر اط إلى اليوم، وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة»[٩].

يقول الصّابي أنّ «روذمستان وهرمز جرد وهما ناحيتان من السّيب الأسفل وجنبلاء»[١٠]، وهذا النّص يوحي بأنّ هذين الطّسوجين يقعان جنوب شرقي الكوفة حيث يقع السّيب وجنبلاء.

هرمز جرد:

لقد ذكرنا أنّ هرمز جرد من طساسيج البهقباذ الأسفل، ويقول ياقوت أنّها «ناحية كانت بأطراف العراق غزاها المسلمون أيّام الفتوح»[١١] ويروي البلاذري أنّ خالد بن الوليد مرّ بزندورد من كسكر «فافتتحها وافتتح درني وذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة، وأتى هرمز جرد فآمن أهلها أيضاً وفتحها، وأتى أليس فخرج إليه جابان عظيم العجم»[١٢]، وهذا يبين أنّ هرمز جرد تقع بين زندورد وأليس، وأنّها شرقي أليس.

يذكر الطّبري أنّه لما تقدّم خالد في السّواد جاءه صلوباً والدّهاقين «فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمز جرد على ألفي ألف»[١٣].

ومن البهقباذ الأسفل روذبار وهي «أسفل الفرات على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة» وجرت فيها معركة بين القوات الأموية وبين شبيب الخارجي[١٤] وقد ذكرت في أحداث القرن الثّالث الهجري[١٥].

«مجلة سومر العراقية، مج٢١ ج١ و٢/ ١٩٦٥ ص٢٢٩- ٢٥٣»

* * *

(٨) (الطبري ٣/ ٢٢٠٢).
(٩) (الطبري ١/ ٢٠٥٢ انظر أيضاً ياقوت ٤/ ٨٣٤).
(١٠) (الوزراء ١٢٢).
(١١) (٤/ ٨٦٩).
(١٢) (فتوح ٣٣٩).
(١٣) (الطبري ١/ ٢٠٥١).
(١٤) (الطبري ٢/ ٩٢٢، ٩٣٥، ٩٨٢).
(١٥) (انظر الطبري ٢/ ١٦٢٧، ١٦٤٨).